مجلة الرائد

العدد : ٢٣٥ الموافق في محرم ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/٤ ميلادي

عنوان المقال : إن الدين يسر	الكاتب : أ. عدنان

أولاً : بني الإسلام على اليسر ورفع الحرج : والنصوص الدالة على هذه الحقيقة كثيرة ،

نذكر منها طائفة :

١- من القرآن :

❶ قول اللّه تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء : ١٠٧] .

❷ قوله تعالى : { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } [الحج:٧٨] .

❸ قوله تعالى في سورة البقرة عند الحديث عن الصيام : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [١٨٥] .

❹ قوله عزَّ وجلَّ في أحكام الوضوء : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [المائدة : ٦] .

٢- من السنة :

① قوله ﷺ : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ... » رواه البخاري عن أبي هريرة.

② قوله ﷺ : « أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ » رواه البخاري في الأدب المفرد ، وذكره في الصحيح تعليقاً .

③ عن أبي هريرة ﷺ قال : قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُوهُ ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواه البخاري وغيره .

④ قوله ﷺ لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن « يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا »

رواه البخاري وغيره .

٣- أمثلة على دعوة النبي ﷺ إلى اليسر ورفع الحرج :

❶ قوله ﷺ لمعاذ وقد أطال صلاة العشاء ، فانفصل عنه رجل وصلى منفرداً : « يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ » كَرَرَهَا ثَلاثًا ، وفي رواية « اقرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالضُحى ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ » رواه البخاري وغيره .

❷ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِي قَالَ : قَالَ : رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلانٌ فِيهَا ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ . ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ » رواه البخاري وغيره .

✧ ✧ ✧

ثانياً : نهي الإسلام عن الغلو والتشديد :

لا يخفى أن الناس مختلفون في الطبائع ، ومن رحمة اللّه بنا أن بيَّن لنا ما شرع ، وأمرنا برد أمورنا إلى الشرع لا إلى الطبع ، وعلمنا ربنا الكريم أن نقرأ في صلاتنا اليومية بهذا الدعاء الرائع الجامع :

{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ } [الفاتحة : ٦-٧] .

يقول ابن القيم في (مدارج السالكين - ج (٢) - ص ٥١٧) :

« فما أمر اللّه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين اللّه وسط بين الجافي عنه والغالي فيه .. فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له .. هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد » .

١- يقول تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود : ١١٢] .

٢- قوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتاً وَلا مُتَعَنِّتاً وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّرًا » رواه مسلم وغيره .

٣- وبين رسول اللَّه ﷺ أن نتائج التشديد وخيمة فقال : « لا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشْدُدِ اللَّه عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) » رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن

٤- وقال ﷺ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلاثًا . رواه مسلم وغيره

قال النووي في شرح مسلم : « هلك المتنطعون : أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم » .

٥- ويقول ﷺ في حديث جامع : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا . وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » رواه البخاري وغيره . قال ابن حجر في فتح الباري : " والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب " .

٦- صور من التشديد نهى عنها الإسلام :

① قوله ﷺ للثلاثة الذين جاؤوا إلى بيوت أزواجه وسألوا عن عبادته :

« إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » رواه البخاري وغيره .

② حديث أنس قال : دخل النبي ﷺ المسجد ، فإذا حبل ممدود بين ساريتين ، فقال : « مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟! قَالُوا : هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ » . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حُلُّوهُ ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ » رواه البخاري وغيره .

③ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : بينما كان النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم . فقال النبي ﷺ : « مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، وَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلْيَقْعُدْ ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ » رواه البخاري وغيره .

✧ ✧ ✧

ثالثاً : اليسر والمشقة :

أخذ الفقهاء من النصوص السابقة وغيرها قاعدة عظيمة هي :

(المشـــقـة تجـلب التيســير)

- ولكن ما هي المشقة التي تجلب التيسير ؟

◆ من المعلوم أن التكاليف الشرعية فيها مشقة وهي مشقة عادية لا فكاك عنها في كل عمل ؛ ولنتأمل كيف يقرر ربنا ﷻ أنه ما جعل علينا في الدين من حرج في سياق التكاليف الكبرى :

▫ يقول عزَّ وجلَّ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ } [الحج : ٧٧-٨٧] .

▫ ويقول الشاعر :

لولا المشقةُ ساد الناس كلهمُ الجودُ يُفقر والإقدامُ قتَّالُ

✧ ✧ ✧

رابعاً : الرخص والعزائم :

إن حديثنا عن اليسر يدخل فيه " الرخص " .. ولكن هذا لا يعني بناء الشخصية على الفرار من العزائم .. فالرخصة حكم استثنائي يطبق في شروط استثنائية ، والعزائم هي الأحكام في الحالات العادية ، ولا يخلط بينهما فقيه .

- يقول رسول اللَّه ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ » رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح .

✧ ✧ ✧

خامساً : الرخص والمعصية :

والرخص تخفيف يحب اللّه الأخذ بها .. ويكره الوقوع في المعاصي بحجة الرخصة .

◆ يقول رسول اللّه ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ » رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح .

✧ ✧ ✧

سادساً : التشديد واتقاء الشبهات :

لا يفهم من نهي الإسلام عن التشديد .. أن هذا النهي يشمل اتقاء الشبهات :

- عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » رواه مسلم وغيره .

✧ ✧ ✧

خلاصـــة

❍ إن الإسلام دين يسر ، واليسر يشمل تحقيق مصلحة الإنسان من خلال الأوامر والنواهي ، فإذا تعارضت مصلحة الإنسان مع الأمر أو النهي كانت الرخص التي تدفع المشقة بشروطها الشرعية ، وأشير هنا إلى نماذج من قواعد استنبطها علماء الإسلام بهذا الخصوص :

١- المشقة تجلب التيسير .

٢- الضرورات تبيح المحظورات .

٣- يحتمل أخف الضررين لاتقاء أشدهما .

❍ والتعامل مع هذه القواعد وغيرها يحتاج إلى علم .. فمن كان قادراً فليقدم .. وإلا فليرجع إلى من عنده علم مناسب .

❍ وأختم بوصف رسول اللّه ﷺ : « مَا خُيِّرَ النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمَاً » رواه البخاري